المحاضرة رقم:01 في النّقد الأسلوبي

الأسلوبية المفهوم والنّشأة

1*/ المفهوم:

عرّف الأسلوب/الأسلوبيّة بعدّة تعريفات نجدها متباينة أحيانا ومتشابهة أحيانا أخرى، فمن بين التّعريفات الّتي تتكرّر في الدّرس الأسلوبي نجد تعريف "أحمد الشّايب" الّذي يقول فيه: "كلّ أسلوب صورة خاصة بصاحبه، تبيّن طريقة تفكيره وكيفيّة نظره إلى الأشياء وتفسيره لها وطبيعة انفعالاته"[1].

ويتّجه بعض روّاد الأسلوبيّة إلى تعريف الأسلوب بأنّه مجموع الطّاقات الإيحائيّة في الخطاب الأدبيّ، وذلك أنّ الّذي يميّز هذا الخطاب هو كثافة الإيحاء وتقلّص التّصريح وهو نقيض ما يطرد في الخطاب العادي، أو ما اصطلحنا عليه بالاستعمال النّفعي للظّاهرة اللّغوية[2].

وتنسب ترجمة مصطلح(Stylistics) بالأسلوبيات، إلى "سعد مصلوح" ثمّ جرى استبداله بمصطلحين شائعين هما الأسلوبيّة وعلم الأسلوب، ويعلّل هذا الإيثار بأنّه "أخصر وأطوع في التّصريف، كما أنّه جاء في سنّة السّلف في صكّ المصطلحات الشّبيهة بالرّياضيات والطّبيعيات، ولأنّه يتّسق بهذا المبنى مع مصطلح اللّسانيات والصّوتيات"[3]. وهو المصطلح الّذي يستعمله الكثير من الأسلوبيّين أمثال: نور الدّين السّد، مازن الوعر، عبد الرّحمن حاج صالح.

وسواء انطلقنا من الدّال اللاّتيني أو العربيّ، فالمعنى واحد، وهو دال مرّكب؛ جذره أسلوب (Style)، لاحقته (سية) (ique)، فالأسلوب ذو مدلول إنسانيّ ذاتي، وبالتّالي نسبيّ، واللاّحقة تختصّ بالبعد العلميّ والعقليّ، وبالتّالي الموضوعيّ، ومن ثمّ فعلم الأسلوب (Science du style)، تعرّف بداهة بالبحث عن الأسس الموضوعيّة لإرساء علم الأسلوب[4].

2*/الأسلوبية واللّسانيات:

يعرّف "شارل بالي" اللّغة بقوله: "فاللّغة في الواقع تكشف في كلّ مظاهرها وجها فكريا ووجها عاطفيا ويتفاوت الوجهان كثافة حسب ما للمتكلّم من استعداد فطري وحسب وسطه الاجتماعيّ والحالة الّتي يكون فيها"[5].

---

[1] أحمد الشّايب: الأسلوب دراسة بلاغيّة تحليليّة لأصول الأساليب الأدبيّة، مكتبة النّهضة المصريّة، ط02، دت، ص108.

[2] د. موريس أبو ناضر: الأسلوب وعلم الأسلوب، الثّقافة العربيّة، ع09، سبتمبر 1975، ص40-45.

[3] سعد عبد العزيز مصلوح: في البلاغة العربيّة واللّسانيات الأسلوبيّة، آفاق جديدة، مكتبة الكويت الوطنيّ، ط01، 2003، ص21.

[4] M.Riffaterre : Essais de stylistique structurals ,p12.

[5] Charles Bally : Traitè de stylistique francaise-paris,klincksleck,3ème èd,1951,tom 01, p12.

ويبلور زميله "رومان جاك أبسون" في مقاربة شموليّة هذا المنحى، فيعرّف الأسلوبيّة بأنّها بحث عمّا يتميّز به الكلام الفنيّ عن بقيّة مستويات الخطاب أولاّ وعن سائر أصناف الفنون الإنسانيّة ثانيا[1].

***3/ النّشأة:**

في سنة1960م انعقد بجامعة آنديانا(L' universitè D indiana) بالولايات المتحدّة الأمريكية ندوة عالميّة حضر إليها أبرز اللّسانيين ونقّاد الأدب وعلماء الاجتماع وكان محورها "الأسلوب"، ألقى فيها رومان جاك أوبسون (Roman jakobson) (1896-1982) محاضرته حول "اللّسانيات والإنشائيّة"، "فبشّر يومها بسلامة بناء الجسر الواصل بين اللّسانيات والأدب"[2].

وفي سنة 1965م ازداد اللّسانيون ونقّاد الأدب اطمئنانا إلى ثراء البحوث الأسلوبيّة واقتناعا بمستقبل حصيلتها الموضوعيّة وذلك عندما أصدر "تودوروف"(Tzgvetan Todorov) (1939-2017)، أعمال الشّكلانيين الرّوس مترجمة إلى الفرنسيّة[3].

وفي 1969 يبارك الألماني ستيفن أولمان(Stephen Ulmann) (1914-1976) استقرار الأسلوبيّة علما لسانيا نقديا بقوله: "إنّ الأسلوبيّة اليوم هي من أكثر أفنان اللّسانيات صرامة، على ما يعتري غائيات هذا العلم الوليد ومناهجه ومصطلحاته من تردّد، ولنا أن نتنبّأ بما سيكون للبحوث الأسلوبيّة من فضل على النّقد الأدبيّ واللّسانيات معا"[4].

إنّ هذا المخاض الّذي عرفته دراسة الأسلوب سواء في صلب المدارس اللّسانية والنّقدية، أو في معزل عن هذه وتلك، هو الّذي فجّر بعض مسالك البحث الحديث، وأخصب بعضها الآخر، فأمّا الّذي تفجّر فهو "البويتيقا الجديدة"، والّتي تضيق رؤاها حينا فتصلح لها عبارة " الشّعرية"، وتتّسع مجالا واستعابا أحيانا أخرى فتحسن ترجمتها بمصطلح "الإنشائيّة"، وأمّا الّذي ازداد بهذا الجدل والمخاض ثراء وخصبا حقا فهو علم العلامات أو السّيميائية (La semiologie)، إذ امتّدت بينه وبين النّقد الأدبيّ أسباب متكاثفة تجسّدت شبكتها آن ذاك نزعة في النّقد والتّحليل اصطلحت على نفسها بعلاميّة الأدب، (SèmiotiqueLitteraire)، ويحمل ريادتها الفرنسية قريماص، والأمريكية بيريس.

***4/الأسلوبيّة والبلاغة:**

[1] Essais de linguistique generale,p210.

[2] نشرت هذه المحاضرة بالأنجليزية في 1960 بعنوان: (Closing stalements : linguistics and poetics)، ثمّ ضمّنها كتابه: محاولات في اللّسانيات العامة (Essais de linguistique generale).

[3] Theorie de littérature :Ed du seuil-coll.tel quel1965.

[4] صدرت ط01 في 1946، وصدرت ط03 في 1969، ضمّن فيها أولمان فصلا خامسا بعنوان "اللغة والأسلوب"، ص293-311.

أ/ أوجه التّشابه:

-اعترف جلّ الدّارسون بوجود مناطق مشتركة بين البلاغة والأسلوبيّة، يمكن أن نجملها فيما يلي:

-أوّل نقطة التقاء بينهما تتمثّل في الاشتغال على النصّ اللّغوي الأدبيّ؛ فالوسائل اللّغوية التّعبيرية الفاعلة في إنتاج النّص الأدبيّ (من استعارة وكناية وتشبيه وسجع ومقابلة و...) يسعى إلى تشكيلها المبدع بغرض التّأثير على المتلقّي، ويأتي الدّارس الأسلوبيّ أو البلاغيّ ليكشف عنها، مبيّنا انزياحاتها عن الكلام العادي[1].

-تتميّز البلاغة بأنّها فنّا للتّعبير الأدبيّ، يقوم على قواعد دقيقة، لذلك اعتمدها نقّادنا القدماء ليقوّموا من خلالها الإبداع الفردي الشّعري، كذلك الأسلوبيّة تهتمّ بالكشف عن الخصائص التّعبيرية ونقد الأساليب الفرديّة في دراستها لنصّ معيّن، ومن ثمّ يمكن القول: أنّ البلاغة هي أسلوبيّة القدماء[2].

-كما تلتقي البلاغة والأسلوبيّة في فكرة "الموقف"؛ "فكما أنّ علم البلاغة يقرّر أنّ الكلام يطابق مقتضى الحال، فكذلك يقرّر علم الأسلوب أنّ نمط "القول" يتأثّر بالموقف"[3]، لذلك قال القدماء لكلّ مقام مقال.

-والحديث عن ملاءمة الكلام لمقتضى الحال، يجرّنا إلى علم المعاني الّذي تتّكئ البلاغة والأسلوبيّة عليه؛ فالبحث في المعنى ومدى تأثيره في المتلّقي وملاءمته للحال، شغل الدّارسين القدماء والمحدثين على حدّ سواء[4].

ب/ أوجه الاختلاف:

عرض الدّكتور "محمّد عبد المطلّب" إلى الجوانب الّتي رأى بها قصورا في البلاغة وجاءت الأسلوبيّة لتكمّلها،[5] والّتي يمكن أن نجملها في التّالي:

-البلاغة علم معياريّ والأسلوبيّة علم وصفيّ، فالبلاغة تنطوي على قوانين مطلقة تقوم على الاختيار بين إمكانيات عدّة تتمثّل في التّراكيب النّحوية الخاضعة لقوانين معيّنة، أمّا الأسلوبية فتبحث عن الخصائص الّتي لا معيار لها.

-ومن ثمّ فأفق الدّراسة في الأسلوبيّة أوسع؛ فهي تدرس الظّواهر اللّغوية كلّها بدءا من الصّوت وصولا إلى المعنى مرورا بالتّركيب.

---

[1] عدنان بن ذريل: النصّ والأسلوبية بين النّظرية والتّطبيق اتّحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2000، ص87.
[2] بيير جيرو:الأسلوبيّة، تر: منذر عيّاشي، دار الحاسوب، حلب، سوريا، ط01، 1994، ص01-27.
[3] شكري محمّد عيّاد: مدخل إلى علم الأسلوب، مكتبة الجيزة، مصر، ط02، 1992، ص46.
[4] يوسف أبو العدّوس: الأسلوبيّة الرّؤية والتّطبيق، دار المسيرة، ط01، 2007، ص84-85.
[5] محمّد عبد المطّلب، البلاغة والأسلوبيّة، مكتبة لبنان، ناشرون، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر لونجمان، 1994، ص258-260.

–الأسلوبية لا تشتغل إلاّ بوجود النصّ الأدبي؛ فهي تأتي بعده، أمّا البلاغة علم جاهز قبل النصّ الأدبي؛ ننطلق منه للبحث في النصّ الأدبي[1].

[1] فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبيّة مدخل نظري ودراسة تطبيقيّة، دار الأفاق العربيّة، القاهرة، مصر، 2008، ص31.